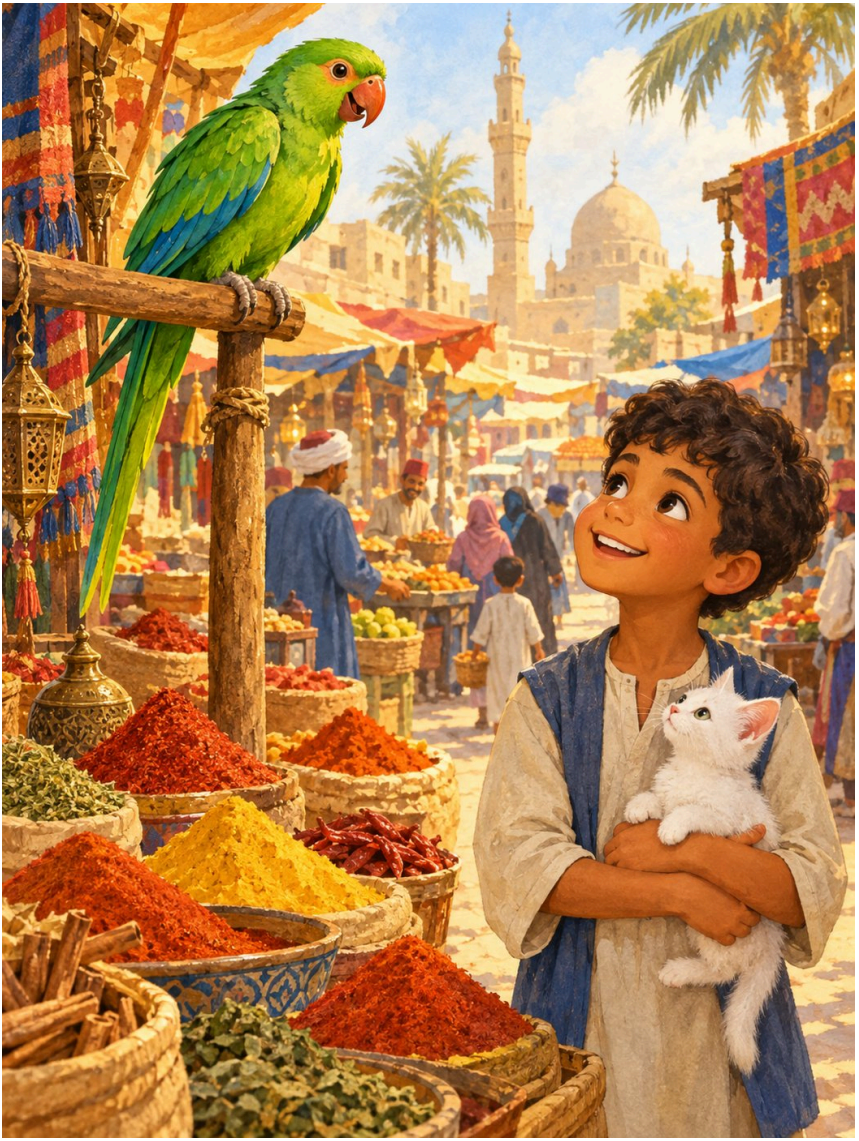

ببغاء سوق الخميس

حمادة حامد محمود نور الدين

في سوق الخميس الكبير، حيث يتزاحم الباعة والزبائن والحمير والدجاج، كان يعيش ببغاءٌ أخضر يُدعى «شاطر». كان ملكاً على دكّان العمّ توفيق بائع التوابل، يقف على عمودٍ خشبي عالٍ، ويراقب السوق بعينين لامعتين كأنه مفتّش.

وكان شاطر مشهوراً بأمرٍ واحد: لا يقول إلا ما سمعه. لم يكن يخترع كلمة. إن سمع «صباح الخير» قالها، وإن سمع شجاراً كرّره بالصوت نفسه والنبرة نفسها، حتى كأنّ الرجلين المتشاجرين عادا من جديد. ولذلك كان الناس يخافون أن يتكلّموا قرب الدكّان، ويقولون: «اخفضوا أصواتكم، فشاطر يسمع وينقل.»

في يومٍ من أيام الشتاء، وقف أمام الدكّان ولدٌ صغير اسمه هاني، في العاشرة، يبكي بصمت. سأله العمّ توفيق: «ما بك يا ولد؟»

«سُرقت قطّتي أمّ لسان،» قال هاني ممسحاً أنفه. «كانت نائمةً هنا في السوق، وحين عدتُ لم أجدها. والجميع يقول إنّه لا أحد رآها.»

نظر العمّ توفيق إلى شاطر، الذي كان يحدّق بعينٍ واحدة. وقال ضاحكاً: «هذا الببغاء لا ينسى شيئاً. لكنّه لا يعطيك المعلومة إلا إذا

سمعها. فلنحاول.»

وبدأت المغامرة. عرف هاني أنّ الببغاء لا يتكلّم عند الطلب. لكنّه يتكلّم حين يسمع. فاقترح أن يمرّ بنفسه بين الدكاكين ويتحدّث بأصواتٍ عالية، حتى يلتقط شاطر ما يريد. فمرّ بجانب الجزّار وقال: «أيّها الجزّار، هل رأيت قطّةً صغيرة بيضاء؟» فأجاب الرجل: «لا، لا. لم أرَ شيئاً.» وكرّر شاطر وراءه من بعيد: «لا، لا. لم أرَ شيئاً!»

كان الوقت يمرّ، والشمس تميل نحو الغروب، والسوق على وشك أن يُغلق. وهاني يعرف أنّ القطّة إن بقيت ليلةً في الخارج بلا ماء فقد تمرض. شدّ على قبضته وقال لنفسه: «يجب أن أجدها قبل المغرب.» وسمع من بعيد أذان العصر يعلو فوق الضجيج، فازداد قلبه خفقاناً.

ومرّ بجانب بائع الفاكهة، وبائع الأقمشة، وبائع الأسماك. وكلّ مرّةٍ كان الببغاء يكرّر الجواب، ويضحك الناس. وفي الأخير جاء هاني إلى بائع الأسماك، وكان رجلاً ضخماً عصبيّاً اسمه عمّ شوقي. سأله: «هل رأيت قطّتي؟»

ارتبك الرجل وقال بسرعة: «لا! لم أرَ قطّتك! ولا أعرف شيئاً عنها! اذهب!»



وفجأةً صاح شاطر من بعيد، بنبرةٍ عالية مضحكة: «لا! لم أرَ قطّتك! ولا أعرف شيئاً عنها! اذهب!»

لكنّ هاني لم يكن متأكّداً بعد. ماذا لو كان الرجل مرتبكاً لأنّه يخفي شيئاً آخر؟ أو لأنّه سريع الغضب فقط؟ لا يجوز أن نتّهم أحداً دون

دليل. فقرّر أن يختبر الأمر بذكاء: سيعود بعد قليل ويقول بصوتٍ عالٍ جملةً مختلفة، ويرى هل يرتبك مرّةً ثانية.

ضحك الجميع. لكنّ العمّ توفيق رفع حاجبه. قال همساً لهاني: «انتبه. لقد كرّر الببغاء الجملة بالضبط. لكنّه لم يكرّر أيّ جملةٍ أخرى بهذا الارتباك. شوقي يخفي شيئاً.»

اقترب هاني من دكّان شوقي. كانت هناك سلّةٌ من الخوص مغطّاةٌ بقماشٍ مبلّل. قال بصوتٍ هادئ: «أريد أن أشتري سمكاً.» وبينما كان الرجل يوزن له، سمعوا مواءً صغيراً من تحت السلّة.

تلفّت حوله فرأى خيطاً رفيعاً من الماء يسيل من السلّة إلى الأرض، وبقعةً صغيرة من الفرو الأبيض على حافّتها. تسارع قلبه. ظلّ يتصرّف كأنّ شيئاً لم يكن، وأخذ يتحدّث بصوتٍ عالٍ عن أنواع السمك حتى لا ينتبه الرجل.

اندفع هاني وكشف القماش، فرأى أمّ لسان تنظر إليه بعينين مرعوبتين، وفي فمها ذيلُ سمكةٍ كبيرة. قال شوقي مذعوراً: «لقد كانت تسرق منّي سمكي! أردتُ أن أعاقبها فقط!»



«لكنّها قطّتي،» قال هاني. «وكان يجب أن تخبرني.»

«أنا آسف،» قال الرجل وقد احمرّ وجهه. «كنتُ غاضباً، وخجلت أن أقول.»

نظر إليه هاني بعينين صافيتين، ثم فعل ما لم يتوقّعه أحد: ابتسم وقال: «لا بأس. سأدفع لك ثمن السمكة، وتعدني ألّا تخيفها مرةً أخرى.» ومدّ يده بقروشه القليلة.

نظر شوقي إلى النقود، ثم إلى الولد، وقال: «احتفظ بها. سمكتي هديّةٌ لقطّتك.» وناوله سمكةً أخرى مغلّفة بورقة. ضحك الناس حولهم وصفّقوا، وصاح الببغاء بأعلى صوته: «احتفظ بها! سمكتي هديّةٌ لقطّتك!»

حملها هاني بين ذراعيه، والتفت نحو الدكّان. كان شاطر على عموده يميل برأسه، وقد بدا فخوراً بنفسه. فقال هاني بامتنان: «شكراً يا شاطر.»

وفي طريق العودة سألته أمّه، التي كانت تبحث عنه في السوق وقد اصفرّ وجهها من القلق: «أين كنت يا ولد؟» ابتسم هاني وأجاب: «كنتُ أحقّق في قضيّة.» ولم تفهم، فضحك الجميع حولهما، وحمل هاني قطّته إلى البيت، وهو يشعر بأنه صار، ولو قليلاً، رجلاً كبيراً.

نفش الببغاء ريشه وقال بوقار: «شكراً يا شاطر!» ثم أضاف بنبرةٍ مختلفة تماماً، لم يسمعها أحدٌ منه من قبل: «أنا هنا!»

صمت الجميع. هذه الجملة لم يسمعها من أحد. كانت له وحده، كأنه تعلّم أخيراً أن يقول شيئاً من عنده. ضحك العمّ توفيق وقال: «انظروا! الببغاء الذي لا يقول إلا ما سمعه، قال شيئاً من قلبه!»

وفي الخميس التالي جاء إلى السوق ثلاثةٌ من أولاد الحيّ يسألون هاني أن يحلّ لهم لغزاً: من أخذ حلواهم؟ فنظر هاني إلى شاطر، وشاطر نظر إليه، وتبادلا ابتسامة المحقّقين. «هيّا بنا،» قال هاني، «القضيّة الثانية بدأت.»

ومنذ ذلك اليوم صار هاني يزور السوق كلّ خميس مع قطّته أمّ لسان، وصار الباعة يعاملونها كأميرة. أما شاطر، فكان يرحّب بهما كلّ مرة بصوتٍ مرح: «أهلاً هاني! أهلاً أمّ لسان!» وكان يخترع أحياناً جملةً جديدة، تضحك الجميع. وقالوا في السوق: لا تخف من الكلام. فالكلمات الصادقة، حتى وإن كرّرها ببغاء، تجد دائماً من يسمعها.

— النهاية —

حمادة حامد محمود نور الدين

https://dakkan-alhikayat.netlify.app